

العاشقة الصغيرة

أفصحة مصرية

بقلم الأديب عبد الحلیم العشیری

راقصة بارعة . ها هي ذي تسقيه الماء
من كوب في يدها وعلى شفيتها بسمه
سعيدة . ها هي ذي تباغته وترش الماء
المثلج على وجهه فيجري أمامها صائحا
مذعورا . ها هي ذي ... ها هي ذي .
وينقضي وقت مديد، والطفلة لا تزال
تميش في ماضيها السعيد . ثم استفاقت

بفتة لتلفظ بهذه الكلمات في صوت خفيض
كثيب شاك :

— لماذا لم تبق بجواري يا حامد لأظل سعيدة ؟
والتمت في عينها دمعتان أخريان !

ما أقسى الشقاء الذي تشعر به هذا المساء !
وراح قلبها يدق بقوة وشدة ، وراحت تستمع
إلى دقاته وقد وضعت خدها على كفها الصغيرة الناعمة
ولم تكن تتذكر شيئا في هذه اللحظة ، فلقد
نسيت كل شيء .

وأخذ الليل يقترب ، ولكنها لم تحس باقترابه
إلا عند ما سمعت خادماتها المعجوز « كعب الخير »
تصيح قائلة :

— أين أنت يا تهاني ؟ هيا فقد أقبل الليل
ومسحت دموعها بسرعة ، وقامت تمشي على
مهل يقيعها قلبها

— مالك يا ست تهاني ؟
قالت الخادم حينما رأت حزن سيدتها الصغيرة
ووجومها . فلم تجبها تهاني

— هل ضربك أحد ؟

— ...

— هل ضاع منك شيء ؟

— ...

كانت الشمس تودع الدنيا في صمت حزين ،
حينما كانت « تهاني » الطفلة التي لم تتجاوز بعد
الثامنة من عمرها ، تسير على رود في حديقة المنزل
الكبيرة يقيمها قلبها الصغير

ووصلت الطفلة بعد قليل إلى مقعد ناء مخنف
بين الأشجار ، فجلست عليه وعندئذ التمت في عينها
الدعجاوين دمعتان لم تلبثا أن سقطتا على خديها
ونظرت إلى قلبها الصغير الجالس عند قدميها
في هدوء ، وهي تبسم بسمه فيها حزن الجدول جف
ماؤه ، وأسى الزهرة ذبلت أوراقها ... ومرت لحظة
ثم شردها ، وعلا السهوم وجهها الجميل الذي
يبدو عليه شحوب عليل ، وشقاء ذليل

وظهرت في رأسها تلك اللحظة صورة شاب
وسيم سافر منذ وقت غير طويل إلى أسيوط حاملا
معه قلبها الصغير

وانثالت على ذهنها ذكريات وذكريات
ها هي ذي جالسة مع ذلك الشاب على أريكة
محادثة ومحادثها

ها هي ذي تمشي معه في ممانى الحديقة ويدها

في يده

ها هي ذي تؤاكله والسرور باد عليها . ها هي ذي

ترقص أمامه قائلة له : « أنظر ... إننى سأكون

— لماذا لا تجيبين يا سيدتى ؟

فالتفتت إليها تهانى وقالت فى غضب :

— اصمتى ... لا تتكلمى ...

فصمتت الخادم وقد بدا الدهش على وجهها

عجيب أمر هذه الطفلة . لقد كانت تحب ...
تحب شاباً فى الثالثة والعشرين . فلترجع إلى الورا قليلاً
منذ عام ونصف عام مات والد « تهانى »
وخلفها تمش مع عمة لها بالقاهرة . وفى منزل
تلك العمة — وهو المنزل الذى تقيم فيه تهانى الآن —
عرفت هذه الطفلة حامداً قريبها الطالب بإحدى
كليات الجامعة . وكان يقيم مع أمه فى أحد طوابقه
وأخذاً يلتقيان . كانت تنطلق إليه كل مساء
فتجلس معه تحادثه . وكان حامد يحبها حب الأخ
الكبير للأخت الصغيرة . ولذلك لم يكن يكره
أحاديثها ولا يعلمها

وعن أى شىء كانت تحدته ؟

كانت تحدته عن الدجاج والبطة الذى تربيته
عمتها فوق سطح المنزل . وعن « بوبى » كلبها
المحبوب . وعن الدروس التى تتلقاها فى مدرستها .
وعن « أبله » خديجة مدرسة الحساب التى يسمونها
« بالفولة » وعن أشياء أخرى كثيرة من هذا الضرب
وازداد حب حامد لتهانى فبدأ يحضر لها الحلوى
والشكولاته . وفى كثير من الأحيان كان يؤاكلها
ويسير معها فى حديقة المنزل . وفى كثير من
الأحيان أيضاً كان يمازحها ويلاعبها
وابتدأت تهانى تحب حامداً حباً لا تعرفه
الطفلة ... حب امرأة لرجل أعجبها وراقها . ولم تعد
حينئذ تستطيع الابتعاد عنه

وأصبح حامد الأمل الذى يرف فى حياة تهانى ،
والنور الذى ينير دنياها ، والفردوس الذى تهرع
إليه كلما اشتاقت إلى الفرديس . وإنها لتشتاق إلى
الفرديس دائماً ... دائماً ...

وصرت الأيام مسرعة . لا تعرف اللغوب ولا الونى
وتخرج حامد فى كليته فأنشأ يبحث عن وظيفة
يشغلها إلى أن عثر على وظيفة فى أسبوط
وراح حامد يتأهب للذهاب إلى أسبوط . وكان
سعيداً فأنسته سعادته « تهانى » التى كادت تجن
حينما علمت أنه سينأى عنها

وعرف الحزن طريقه إلى نفس العاشقة الصغيرة
وأرمرض الأسى فؤادها غير أنها تماسكت وصبرت ...
ومضى يومان ، وفى اليوم الثالث أمأها حامد ليخبرها
بمزمه على الرحيل إلى أسبوط بعد قليل
— وستركنى هنا وحدى يا حامد ؟

— وحدك ؟ وهل نسيت عمك وخادمتك
« كعب الخير »

— ؟ ؟

— فلتكونى قوية يا عزيزتى

— لا أستطيع

— من أجلى . ومن أجل مستقبل

— ولكن ... ولكن ...

وخنقتها البكاء فلم تستطع أن تقول ما تريد أن
تقول ، واقترب حامد منها وهو يقول :

— لا تبكى : وإلا أغضبتنى

فنيضت عبراتها بصموبة . ولادت بالصمت
ووضع حامديده على كتفها وقال لها للمرة الثانية

— فلتكونى قوية يا عزيزتى

فرفت تهانى بصرها إليه بعد هنيهة . وتشدت
وهى تتمم :

— حسن، سأكون قوية. هات خدك لأقبلك

قبلة الوداع

وقبلته قبلة الوداع وهي تشعر بشيء يبكي في أعماقها ويئن .. وصرت دقائق ثم .. ثم رحل حبيبها !

... في صباح اليوم التالي استيقظت تهاني من نومها على عندلة بلبل ... وجلست على وساد سريرها وقد عاودتها أشجانها وآلامها .

وانقضى وقت قصير ، ثم دخلت عليها عمتها ، وهي امرأة نصف ليست بالجيلة ولكنها ليست بالديمية .

— هل استيقظت يا تهاني ؟

— أجل يا عمتي .

— حسن ، قوى يا ابنتي لتستعدي للذهاب إلى المدرسة .

وخرجت العمّة من غير أن ترى ما يبدو على تهاني من حزن وكآبة .

وانطلقت تهاني ذلك الصباح إلى مدرستها وهي تشعر بالوحدة والوحشة . وحينما انقلبت إلى منزلها في المساء كان شعورها بالوحدة والوحشة يزداد ويزداد وعزفت عن الطعام ، واجتوت الحياة ، ولزمت الحيرة نظراتها، وغشى الذهول بساتنها .

ودرجت الأيام ، وتهاني حزينة كثيفة أسوانة وفي ذات يوم سألتها عمتها :

— مالك يا تهاني ... إنك قد تغيرت كثيراً ؟

فبكت تهاني وأخبرت عمتها بأمرها ، أخبرتها به في صراحة طفلة ساذجة . فاحتضنتها العمّة ووضعت رأسها على كتفها ، ثم ربت على ظهرها في حنان وحذب .

— ولم لم تخبريني بذلك من قبل ؟

— لم أكن أقدر !

— يالك من مسكينة .. ولكن ماذا أستطيع أن أفعل من أجلك الآن ؟ إن حامداً في أسبوط ، ونحن في القاهرة .

فلجّت تهاني في البكاء ولم تجب !

ومضى يوم مديد ثقيل . وفي اليوم الثاني مرضت العاشقة الصغيرة ، فازمت سريرها تهني بكلام لا يفهم منه إلا أنها تشتاق إلى الحبيب النازح الثاني ... وخافت عمتها عليها ، فكتبت إلى حامد تصف له حالها وتطلب إليه أن يحضر ...

وحضر حامد من غير إبطاء ، وما إن رآته تهاني حتى وثبت من سريرها وهرعت إليه فرحة لاهثة . وحملها حامد على ذراعيه ، فتملقت بعنقه وأخذت تقبله وتقبله ... ثم تهمت :

— حامد ... هل أنت حقاً الذي أرى أم ...

ولفرط فرحها لم تستطع أن تتم كلامها ! وأعادها حامد إلى سريرها وجلس بجوارها يحادثها . ونسيت تهاني آلامها ومرضها وهي تستمع إليه . وبدأ السرور يشيع في وجهها ... ثم ... ثم بكت فجأة . بكت من شدة السعادة والتصفّت بحبيبها وهي تنظر إليه من خلال دموعها نظرة كلها غبطة ، وعلى شفيتها بسمة تفيض بالهناء

— وسبقى بجوارى يا حامداً أم سترحل ثانية ؟

فقال حامد وهو يربت على خدها بيده ، ناظراً إلى أهداب عينيها المحضلة بالدمع :

— لا يمكن أن أبقى هنا يا عزيزتي ، وإلا

أضعت وظيفتي
فاكتأبت وغاضت بسمتها ، وهمت أن تشكلم ، غير أن حامداً سألها :

ولذلك امتلأت حياتها بالآمال والأحلام
وذاقت تهناني طعم السهاد مرات كثيرة ...
ولكن أى سهاد هو هذا الذى ذاقت طعمه ؟ إنه
السهاد الطويل القاسى الثقيل ... سهاد الماشقين .
وأدبرت أساييع وأساييع ... والطفلة صابرة
لا تشكو ، قوية لا تضعف ... وفى يوم من الأيام
شمرت برغبة شديدة ملحة فى البكاء . فلجأت إلى
ركن قصى بعيد من أركان حديقة المنزل ، وجلست
تبكي بحرقة

ولكنها انقطعت عن البكاء بقتة وراحت تسأل
نفسها : « لماذا تبكى ؟ » وذكرها هذا السؤال بشيء
فمادت تبكى

وبللت الدموع خديها فسحتها بكم ثوبها .
وجاء إليها كلها فى تلك اللحظة ، فأمسكت به ،
ووضمته على حجرها ، ثم مالت عليه تكلمه :

— إننى شقية يابوبى ، شقية جداً ، وقلبي
يوشك أن يمتحنق أو يحترق . كم أحن إلى الراحة !
كم أحن إلى الراحة !
وصمنت لحظة ثم أردفت :

— لقد صبرت على شقائى طويلاً يا بوبى ...
ويخيل إلى الآن أننى لن أستطيع أن أصبر أكثر
من ذلك . إنى لأود أن أجد حامداً بجوارى هذه
اللحظة لأشكو إليه حالى

ولكن هيات أن تجد حامداً بجوارها . فحامد
فى أسيوط : وهى فى القاهرة ، يالها من طفلة شقية
يالها من عاشقة معذبة !

شيء واحد أسعد « تهناني » فى تلك الأيام
البائسة الأليمة ، ووضع فى قلبها الشجى الأسوان
(٥)

— هل يسرك أن أكون متمطلاً ؟
— كلا . وكيف يسرنى أن نكون متمطلاً ؟
— إذن دعبنى أعد إلى وظيفتى وعليك بالصبر
فأطرفت برأسها فى صمت !
ورفعت رأسها فجأة بعد قليل . ثم طلبت منه
أن يدنى أذنه من فمها . فلما فعل همست فيها بصوت
مرتبك لا يكاد يسمع ، وحمرة الخجل تصبغ وجهها
— هل تنوى أن تزوج قريباً ؟
وفهم شيئاً فقال لها وهو يضحك :
— كلا . لن أزوج قريباً لأننى أريد أن
تكونى أنت زوجتى

وساد الصمت ... وبعد دقائق قالت تهناني
لحامد وهى تنظر إلى حجرها :
— يمكنك الآن أن تعود إلى أسيوط

وعاد حامد إلى أسيوط . وعادت تهناني تقاسى
آلام فراقه . غير أنها استطاعت أن تصبر على تلك
الآلام هذه المرة

وبدأت العاشقة الصغيرة تحلم بمستقبل سميد
هاهى ذى قد أصبحت زوجة لحامد ، هاهى
ذى تعيش معه ، هاهى ذى تقبله فى الصباح حينما
يهم بالخروج من المنزل ، وفى المساء عندما يرجع
إليه ، هاهى ذى تطبخ له طعام « السبانخ » الذى
يحبّه ... هاهى ذى ... هاهى ذى ...

وأخذت تهناني تدعو الله أن يحقق حلمها .
وكانت فى كثير من الأحيان تضع كلها الصغير على
صدرها وتهمس فى أذنه : « سوف ترانى غداً أيها
الكلب وقد أصبحت زوجة لحامد »

ولم تعد الطفلة تهتم بشيء كما تهتم بقصدها
وبما سيكون فيه من سمادات ولذات وأفراح .

تعلم أنى بدأت أحب الحياة ، وأستعذب آلام الحب ؟ »

وتولت ثلاثة أشهر والحبيب لا يبرح غائباً .
وفي ذات يوم عادت تهانى من مدرستها . فلما رأتها
خادمتها « كعب الخير » دنت منها وقالت لها وهي
تبسم :

— عندى لك يا سيدتى خبر سار

— ما هو ؟

— سيدى حامد قريبك سيقدم غداً إلى هنا ...

فألقت تهانى بكتبها وكراستها على الأرض .

وأخذت ترقص وتغنى وتصفق فى سرور وجبور .

غير أنها كفت عن الرقص والغناء والتصفيق بغتة
حينما سمعت خادمتها تم كلامها قائلة :

— وسيبقى هنا ثلاثة أيام يمقد قرانه فى

خلالها على قرية له تقيم بالزمالك

يمقد قرانه على قرية له تقيم بالزمالك ...

وحملت تهانى فى وجه كعب الخير وقد ظهرت عليها
الدهشة . ثم هتفت فى صوت خافت منهات :

— أحق ما تقولين ؟

— وهل تظنين أنى أ كذب عليك ؟

قالت الخادمة وهي تعجب من الدهش الذى

يبدو على سيدتها الصغيرة ... فتولت تهانى من غير
أن تنبس !

أنى مثل ومضة البرق يتحطم الأمل الذى كانت

تعيش به !

أنى مثل طرفة العين يتهدم المستقبل الذى كانت

لا تزال تبنيه !

يا لشقاء جدها ...

قليلاً من الطمأنينة والهدوء . وهو هذه الرسالة
القصيرة التى أرسلها حامد مع كتاب بعث به
إلى عمته

« زوجتى العزيزة تهانى هانم ...

أقبلك ألف قبلة . وبعد فلتعلمى أنى لا أنساك ،

وأنى مشتاق جداً إلى رؤيتك ... أملى أن تكونى

سميدة ، وتقبلى تحياتى الحارة

زوجك : حامد »

لقد كادت نجى من فرط الفرح حينما قرأت

تلك الرسالة ، « فلتعلمى أنى لا أنساك وأنى مشتاق

جداً إلى رؤيتك » . ما أجمل أن يقول لها حامد

هذه الكلمات !

ووضعت تهانى رسالة حامد تحت وسادة سريرها

بعد أن أشبعها لثماً وتقبيلاً ، ثم أحضرت ورقة
وقلماً وكتبت هذا الخطاب :

زوجى العزيز حامد أفندى

أقبلك مليون قبلة ، لا ألف قبلة فقط ... وبعد

فقد وصلتني رسالتك الرقيقة ، ومررت بها كثيراً

وأحب الآن أن تعرف أن صورتك المحبوبة لا تفارق

نحيلتى ، وإنى لأتمنى أن تعود إلى قريباً ، لأجالسك

وأحادثك ، وأؤاكلك ، ولأرشف الماء على وجهك .

زوجتك المشتاقة إليك جداً « تهانى »

وعزمت على أن ترسل هذا الخطاب إلى حامد ،

من غير أن تعلم عمته بذلك ... وقد فعلت ...

وفى اليوم الذى أرسلت فيه ذلك الخطاب ،

جلست مع كلبها فى ركن حديقة المنزل البعيد

ولأول مرة منذ مدة طويلة تكلمت فى سعادة :

« إنى سميدة اليوم يا بونى ، سميدة جداً ، فقد

بعث حامد إلى برسالة ، وبعث إليه برسالة . هل

الفصول والغايات

معجزة الشاعر الطاب

أبي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريقته ،
وفي أسلوبه ، وفي معانيه . وهو الذي قال فيه
ناقدو أبي العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول
هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة
في القاهرة .

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمود حسن زغاني

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد
ويطلب بالجملة من إدارة مجلة « الرسالة »
ويباع في جميع المكاتب الشهيرة

ودخلت غرفة نومها . وجلست على السرير
وصدرها يملو ويهبط بشدة وعنف وبصرها ذاهل
حائر شارو . ثم سألت نفسها :
أهي تحلم ؟

وبصمت بسمة حزينة مرة : كلا إنها لا تحلم
فقد عادت من مدرستها منذ قليل
وأحست أن الدنيا تظلم ، وأن الجو يمتلئ
بضباب أسود قابض . وخيل إليها أن روحها
قد سلبت منها ، وأنها لم تعد بحيا
وتقضت برهة ...

ها هي ذى تنهض عن سريرها وتخطو في الغرفة
بضع خطوات . أواه .. إنها لتكاد تقع على الأرض
من شدة الإعياء الذي سببته لها الآلام التي هجمت عليها
ها هي ذى تقف ... آه ... إن أنة مذبوحة
باكية تنساب من بين شفتيها المرتعشتين
ها هي ذى تفكر ... أوه ... لقد تألفت
في عينها دمة

وتقضت برهة أخرى
لقد رجعت المسكينة إلى سريرها ... فألفت
بنفسها عليه . وراحت نجش بالبكاء .

يا لها من طفلة شقية . يا لها من عاشقة معذبة !

... في اليوم التالي قدم حامد . وحينما علمت
تهاني بقدمه أسرع بمبارحة المنزل من غير
أن تراه أو يراها

لم بارحت المنزل ؟ ... وإلى أين ... ؟ ... لا يعلم
أحد ... ومضى النهار دون أن تعود الطفلة إلى بيت
عمتها . وفي ساعة متأخرة من الليل رآها بعض
رجال الشرطة جالسة على إفريز شارع من شوارع
القاهرة وهي تبكي وتندحب !!!

عبد الحليم العشيري

صدرت الطبعة الجديدة من :

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

منجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

« ومن إدارة الرسالة »

الثنى ١٢ قرشاً